مجلة المجمع العلمي العربي

انشئت في اول كانون الثاني سنة ١٩٢١ الموافق ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣٣٩

تصدر في دمشق مرة في الشهر

قيمة اشتراكها ليرة ونصف سورية

فهرست الجزء التاسع والعاشر من المجلد الاول

ايلول وتشرين الاول ١٩٢١

ص		
٢٥٧	الحسبة في الاسلام	(للاستاذ محمد افندي كرد علي)
٢٦٣	الحنين الى الاوطان	(لشفيق افندي جبري)
٢٧٠	كتاب تهذيب اللغة للازهري	(للاستاذ المغربي)
٢٧٧	تكريم العلماء العاملين	.
٢٨٠	انصار العلم	.
٢٨١	من نفائس الآثار	بولس الخولي
٢٨٧	اخبار وافكار	.
٢٨٨	مطبوعات حديثة (مجلة الرابطة الادبية)	.
٢٨٨	» (اغاني الصبا)	.
٢٨٩	الاعلام بمعاني الاعلام	(للاستاذ الكرمي)
٢٩٨	جباية الشام في الاسلام	(للاستاذ محمد افندي كرد علي)
٣٠٦	عثرات الاقلام	(المجمع العلمي)
٣١١	الجامعة الاميركانية	(جبر ضومط)
٣١٣	عظة المأمون لابنه	.
٣١٤	اخبار وافكار «احدى جلسات المجمع»	.
٣١٦	» «آثار تل النبي مندو»	(عيسى اسكندر افندي المعلوف)
٣١٧	» «هدية وزارة المعارف الفرنسية»	.
٣١٨	مطبوعات حديثة «جامعة ليون»	.
٣٢٠	ثمرة العقل	.

مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء ٩ ايلول سنة ١٩٢١ م الموافق ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٩ هـ المجلد ١

الحسبة في الاسلام (١)

لم يقصر العرب في شأن من شؤون المدنية بالنسبة لاعصارهم وكلما ارتقت حضارة الغرب وتوفر العاملون من ابنائه اليوم على استخراج دفائن هذه المدنية العربية الاسلامية تتجلى لنا امور منها ما كنا نحن اصحاب تلك المدنية نعلمه من قبل .

من المعلوم ان المدنية انتقلت الى العرب من الفرس واليونان والهند . ولكن جاء الاسلام بما فيه من العوامل القوية والنظام المدني البديع الذي استخرجه اهل الصدر الاول من روح الكتاب والسنة باجمل مدنية عرفها البشر وما نظنه مهما ارتقى في الازمان التالية يخرج عن حدها الا قليلاً .

لم يترك العرب باباً من ابواب المدنية الا وطرقوه ولا علماً من العلوم والصناعات الا وعانوه وبرزوا فيه وقد تجلت مدنيتهم باجلى مظاهرها في فارس والعراق ومصر والشام والاندلس اكثر من غيرها من الاقطار التي هذبها الاسلام وكانت العرب اساتذة ابنائها . والغالب ان قيام دول عظمى اسلامية في تلك الاقطار كان من اول الدواعي الى تجويد مدنيتها ورفع شأنها بين الامصار على اختلاف القرون والاعصار وللاقليم وطبيعته دخل كبير في تثقيف العقول وتعويد القرائح الابداع والاختراع .

(١) محاضرة القاها الاستاذ العلامة السيد محمد كرد علي مدير المعارف العام ورئيس المجمع العلمي في بهو المجمع العلمي .

ضاعت واأسفاه اوضاع مدنيتنا القديمة ومشخصاتها لان العرب تمزقوا وتفرقوا بعد استيلاء اناس من الفاتحين على بلادهم كانوا دونهم في سلامة الذوق وجودة الفطرة فافسدوا اخلاقهم بما حملوه اليهم من عاداتهم وتقاليدهم المختلة حتى اوصلوهم الى درجة من الجهالة لو لم يتداركها في القرن الماضي محمد علي باشا في مصر وخير الدين باشا في تونس ومدحت باشا في سورية والعراق لاضمحل عمرانهم وباد سلطانهم .

كلامنا الليلة في فرع صغير جداً من فروع المدنية العربية بل الاوضاع الاسلامية ، نريد ان نشرح اصول الحسبة في الحكومات الاسلامية السالفة ومنه يعلم من لم يكن يعلم ان اجدادنا هيأوا لمدنهم وسكانها جميع ضروب الراحة والهناء وحاولوا ان يبعدوا عنها ما امكن الجور والشقاء . والحسبة بالكسر الاجر وهو اسم من الاحتساب اي احتساب الاجر على الله تقول فعلته حسبة واحتسب فيه احتساباً والاحتساب طلب الاجر وكانت الحسبة وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه اهلاً له فيتعين فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك و يبحث عن المنكرات و يعزر و يؤدب على قدرها و يحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين واهل السفن من الاكثار في الحمل والحكم على اهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على ايدي المعلمين في الكتاتيب وغيرها من الابلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين — قاله ابن خلدون وقال ابن تيمية و بنو آدم لا يعيشون الا باجتماع بعضهم مع بعض واذا اجتمع اثنان فصاعداً فلا بد ان يكون بينهما ائتمار بامر وتناه عن امر واولو الامر اصحاب الامر وذوو القدرة واهل العلم والكلام فلهذا كان اولو الامر صنفين العلماء والامراء فاذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس كما قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه للاحمسية لما سألته ما بقاؤنا على هذا الامر قال : ما استقامت لكم ائمتكم . و يدخل فيهم الملوك والمشايخ واهل الديوان وكل من كان متبوعاً فانه من اولي الامر .

وقال ابن الاخوة : الحسبة من قواعد الامور الدينية وقد كان ائمة الصدر الاول يباشرونها بانفسهم لعموم صلاحها وجزيل ثوابها وهي امر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهي

عن المنكر اذا ظهر فعله واصلاح بين الناس والمحتسب من نصبه الامام او نائبه للنظر في احوال الرعية والكشف عن امورهم ومصالحهم وبياعاتهم ومأكولهم ومشروبهم وملبوسهم ومساكنهم وطرقاتهم وامرهم بالمعروف ونهيهن عم المنكر .

وكانت الحسبة (المقتبس م٣ ص٥٣٧ و٦٠٩) في الحكومات العربية وحكومات الطوائف ضرباً من ضروب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد قسمت الى ثلاثة اقسام احدها ما يتعلق بحقوق الله تعالى والثاني ما يتعلق بحقوق الآدميين والثالث ما يكون مشتركاً بينهما و يمكن ان تقسم الحسبة الى دينية ومدنية فالديني منها بطل من بلاد الاسلام منذ اصبحت حكوماتها لا تحافظ على جوهر الدين بالذات والمدنية استعيض عنها في القرن الماضي في البلاد العثمانية بالمجالس البلدية و بقيت الحسبة معروفة في مصر الى اواسط القرن الثالث عشر ولا عجب فمصر آخر ما اضمحل من اقطار العرب واول من نهض .

فالحسبة والحالة هذه اشبه بديوان الشرطة والصحة والبلديات لعهدنا وكان المحتسب او صاحب الحسبة يشرف على المعاملات المنكرة في الدين و يجازي عليها في الحال فينكر ما يجده مثلاً من المنكرات في الاسواق و يشدد على السوقة والباعة في صحة القناطير والارطال والمثاقيل والدراهم والموازين والمكاييل والاذرع و يجري قواعد الحسبة على الطحانين والعلافين والفرانين والخبازين والشوائين والنقانقيين والكبودبين والبوارين والجزارين والرواسين والطباخين والشرايحيين والهراسين وقلائي السمك والزلابية والحلاوبين والشرابيين والعطارين والشماعين واللبانين والبزازين والدلالين والحاكة والخياطين والرفائين والقصارين والحريريين والصباغين والقطانين والكتانيين والصيارف والصاغة والنحاسين والحدادين والاساكفة والبياطرة ومعاسرة العبيد والجواري والدواب والدور والحمامات والسدارين[1] والفصادين والحجامين والاطباء والكحالين

(١) السدارون الذين يطحنون السدر وهو من المطهرات كالصابون اذا غش يضر ولا ينفع والفاخرانيون والفضاريون وهم الذين يصنعون الصحاف (الزبادي اوالسلطانيات) والمردانيون الذين يعملون المرادن آلات الغزل القديمة تعمل من خشب الساسم او من السنط الاحمر والمسلاتيون صناع المسلات .

والمجبرين ومؤدبي الصبيان والقومة والمؤذنين والوعاظ والمنجمين وعلى اصحاب السفن والمراكب وباعة قدور الخزف والكيزان والفاخرانيين والغضارين والابارين والمسلاتيين والمردانيين والحناوبين والامشاطيين وعلى معاصر السيرج والزيت الحار والغرابليين والدباغين والبطيين واللبودبين والحصربين والتبانين والخشابين والقشاشين والنجارين والنشارين والبنائين الى غير ذلك مما يقصد منه منع غش المبيعات وتدليس ارباب الصناعات.

وكانوا يختصون المحتسب بالنظر في امور احداها اراقة الخمور كلها وكسر المعازف واصلاح الشوارع وذلك باب كبير فيه مسائل احداها امر الميزاب والاوحال والارداغ والدكانجة على الباب ومنع جلوس الباعة عليها ومنع سوق الحمر والبقر للخشابين والآجريين ونحوهم ومنع ربط الناس دوابهم فيها ومنع عمارة الحيطان في شيء من الشوارع ومنع شغل هواء الشارع بالجناح ويسمى برون داشت ومنع المبرز في الجوار بحيث تكون ازالة النجاسة منه بالوقوف في الشارع ومنع الظلة الى غير ذلك من المصالح مثل النظر بين الجيران في التصرفات المضرة كالنظر وسد الضوء الا فيما يرجع الى الملك كغصب قطعة من الارض ومنع اسبال الازار ونحوه على الكعبين وزجر الرجال عن التشبه بالنساء ومنع النساء عن التشبه بالرجال وامر القنبوليين بطهارة مائهم وتنقية نورتهم عن الحصاة ومنع الناس عن تطيير الحمام ومنع البغايا وتعزيرهن ومنع اوليائهن ومواليهن وازواجهن وامر غير المسلمين بتطهير الاواني التي يبيعون فيها المائعات من الدهن واللبن وامر الغسالين باقامة السنة واجتناب البدعة في غسل الموتى وحفر القبور والحمل وزجرهم عن الغلاء في اخذ الاجرة ونصب الصلحاء وذوي الخبرة بهذه الامور وتفحص الجامع يوم الجمعة والمصلى يوم العيدين واخلاؤهما عن البيع والشراء ومنع الفقراء عن التخطي ومنع القصاص عن القصص المفتراة ومنع النساء السائلات عن الدخول في المصلى ومنع الصبيان والمجانين منه ودفع الحيوانات المؤذية عن العمرانات كالكلاب العقور والنهي عن النجس والامر بالتنظيف ومنع الناس عن الوقوف في مواضع التهم كتحدث الرجال مع النساء في الشوارع ومنع النقاشين والصباغين والصواغين عن اتخاذ تماثيل ذوات الروح [1]

(١) المنهي عنه الصور المجسمة للتعظيم اما الصور النصفية فلا مانع منها.

وكبر الصور ومنع المسلمين عن الاكتسابات الفاجرة كاتخاذ الاصنام والمعازف والصنج وبيع النبيذ والبختج[1] ومنع الناس عن اتخاذ القبور الكاذبة وخروج الناس الى زيارة بعض المتبركين او بعض المساجد على مشابهة الخروج الى الحج ومنع النساء عن التبرج والتفرج بالخروج الى النظارات وزيارة القبور ومنع الناس عن التصرفات في المقابر بلا ملك ومنع المطلسمة والسحار والكهان عن منكراتهم ونهي اصحاب الحمامات عن منكراتهم بتطهير المياه واخلاء الحمام عن المرد ودخول العراة فيه وامرهم باتخاذ الحجب بين الرجال والنساء ومنع الناس عن تعلم علم التنجيم مما لا يحتاج اليه في الدين وتصدق الناس الكهان والمنجمين ومنع الناس عن بدعة ليلة البراءة ومنع الناس اللعابين بالنرد والشطرنج وتفريق جمعهم واخذ بساطهم وتماثيلهم ومنع القوابل عن اسقاط جنين الحوامل ومنع الجراحين عن الجب والخصاء في الناس ومنع النانياس من الاقامة في المساجد ووضع الامتعة فيها ومنع الذي اصابه اللمم عن التكلم بالغيب واجتماع الناس عنده زاعمين انه صادق في اخباره بالغيب ومنع الخطاط ومعلم القرآن ومعلم النحو باجر عن الجلوس في المساجد ومنع المعلم ونحوه عن اخذ شيء باسم النيروز والمهرجان .

وكانت وظائف المحتسب تزيد وتنقص بحسب البلد ولا تعدو وظائف المحتسب الامور المشتركة بين اهل كل مجتمع فالمحتسب في بيروت يقضى عليه ان ينظر في امور لا ينظر فيها محتسب دمشق مثلاً فني بيروت يعنى المحتسب بالاحتساب على السماكين والملح والصير والبوري وقلائي السمك والطيور وصياديها ونجاري المراكب وتقديرات المراكب وجميع المدن مشتركة مثلا في الحسبة على الصيادلة والعقاقير والاشربة والمعاجين والقلانسيين والخرازين وصناع الشراك والاساكفة وصناع الخفاف وصنعة السرابات والزفاتين والنحاسين والدهانين وغشهم والمكارية وغشهم وكساحي السماد وحمالته والغرابيل ومناخل الشعر والوراقين والمبهرجين وفيمن يكتب الرسائل على الطرق والرقاع والدروج وكتاب الشروط والوكلاء والقضاة وتدليسهم والمياذب ومضرتها والمراصد والمراقب وطباخي الولائم والمحامل وصناعها والروايا والقرب الى غير ذلك مما كان يستدعيه مجتمعهم ودينهم وعاداتهم ومدنيتهم .

(١) البختج كقنفذ عصير مطبوخ واصله بالفارسية مبجته .

ولقد حدثنا التاريخ ان الناس كانوا يتولون الحسبة بانفسهم عندما تضعف الحكومات لان مصلحة اهل كل بلد لا تتم الا بدفع الاذى بعضهم عن بعض والتواصي بالحق والجاهل في ذمة العالم والضعيف من حصة القوي . واهل البلد الواحد متضامنون معني وضمناً اذا لم يتضامنوا هلكوا وهيهات ان تتم للفرد فيه سعادة لا تتناول المجموع .

هذا ما لقفناه من بضعة تآليف واكثرها مخطوط ألفت في هذا الباب والتآليف فيها لا تقل عن عشرين مصنفاً . وليت شعري الا ترون ان ما كان يقوم به اجدادنا للاحتفاظ بنظام مجتمعهم ليس هو دون ما تقوم به المدن في البلاد الراقية بما لديها من مجالس بلدية ودوائر شرطة وصحة .

نعم ان تلك الاوضاع قد بلغت عند غيرنا في هذا العصر مبلغاً عالياً من الرقي بفضل قاعدة توزيع الاعمال وكثرة الاختصاصيين في كل فرع من الفروع التي تشتد حاجة المدنية اليها ولكن ديوان الحسبة وحده كان يقوم باكثر هذه المقومات في المدن الفاضلة فكانت الحسبة آخذة برقاب المنافع دافة اعناق المضار . ومن الغريب ان عصرنا على رقيه لم يصل في بلادنا الى بعض ما كان يتمتع به اهلها في القرون الوسطى وهذا سر الفرق بيننا وبينهم فسبحان الملهم العظيم .